Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بقوله « هذا ظاهره أن من رآك استفاد منك كسب المعالي ، وباطنه : أن من رآك على ما بك من النقص – وقد صرت إلى هذا العلو – ضاق ذرعه أن يقصر عما بلغته وألا يتجاوز إلى كسب المكارم . وكذلك إذا رآك راجل لا يستكثر لنفسه أن يرجع والياً على العراقين لأنه لا يوجد أحد دونك وقد بلغت هذا »[1] .

وإذا كنت لا أوافق على هذا الشرح تماماً لابن جني ، فإنني أوافقه على أن هذه أبيات عامة تحتمل كل شيء . وأن أبا الطيب لم يكن يحترم أبا المسك ، ولكنها دواعي العمل السياسي . على أن التفسير الحقيقي لكل هذا أن هذه التجربة بما لاحظناه فيها من وهج فني عميق في المشهد الأول ، الذي صور فيه علاقته مع سيف الدولة ، استنفدت كل مشاعره الفنية . ولهذا جاءت بقية الأبيات فاترة فيها البراعة والقدرة والذكاء أكثر مما فيها من التصوير الجمالي والتعبير عن التجربة المحتدمة .

وإن كنا نعتقد مع ابن جني ، أن أبا الطيب كان يفكر ، وهو يكتب هذه القصائد ، في هجاء كافور ، بل إنني أرجح أنه كان يكتب قصيدة الهجاء ، بعد أن يكتب القصيدة التي سينشدها أمام كافور مباشرة .

وهناك مقطوعة أميل إلى أنه كتبها بعد أن أنشد هذه القصيدة التي معنا مباشرة . وهي تجربة من أعتى التجارب الإنسانية تصور تمزق المتنبي وأحزانه . ووصوله إلى الدرك الأسفل من الضياع والانهيار . وها هي ذي هذه المقطوعة :

أريك الرضا لو أخفت النفس خافيا ... وما أنا عن نفسي ولا عنك راضيا
أَمَيْناً وإخلافاً وغدراً وخِسّةً ... وجبناً . أشخصا لحتَ لي أم مخازيا
تظن ابتساماتي رجاء وغبطة ... وما أنا إلا ضاحك من رجائيا
وتعجبني رجلاك في النعل إنني ... رأيتك ذا نعل إذا كنت حافيا
وإنك لا تدري ألونك أسود ... من الجهل أم قد صار أبيض صافيا
ويُذكرني تخْبيط كعبك ثقه ... ومشيك في ثوب من الزيت عاريا
ولولا فضول الناس جئتك مادحاً ... بما كنت في سري به لك هاجيا
فأصبحت مسروراً بما أنا منشد ... وإن كان بالإنشاد هجوك غاليا

(١) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي (جـ ٤ ص ٥٤١) .